في نظرية اللغة عند علماء العربية القدماء

د. محمود حمزة محمد

مدرس اللغويات بقسم اللغة العربية

كلية الألسن جامعة الأقصر

مقدمة

إن الحديث عن أصل اللغة الإنسانية ونشأتها، وعن أفضلية بعض اللغات على بعضها، من حيث الفصاحة، والغني وما إلى ذلك، لهو من الموضوعات التي لا تحظى باهتمام علماء اللسانيات في الوقت الراهن؛ وذلك لأن إهمالها أو التغاضي عنها لا يؤثر في البحث اللغوي. ورغم عدم اهتمام الدرس اللغوي الحديث بالبحث في هذه المسألة، إلا أنه من المهم الحديث عنها، لاسيما إذا كان الموضوع موجه إلى المبتدئين في مجال اللسانيات، أو أصحاب الثقافات المحدودة في الدراسات اللسانية، لوضع أساس ومقدمة لهم تمهد لهم للعمل الأصلي.

تعود نشأة اللغة البشرية إلى ظهور الإنسان على هذه الأرض، فعندما خلق الله الإنسان ميزه عن سائر مخلوقاته بميزتين، وهما: العقل واللغة، وعلى الرغم من امتلاك بعض المخلوقات كالحيوانات والطيور لغات للتفاهم فيما بينها، إلا إنها لغات غريزية غير مدعومة بالعقل، تعبر عن انفعالات طبيعية تظهر في شكل حركات فطرية غير مقصودة، أو أصوات كما هو عند الببغاوات التي تصدر أصواتا شبيهة بأصوات الإنسان، لكنها ليست في سياق المحادثة، وإنما قد تكون في إطار التعرف على العشيرة أو ما شابه ذلك، أما الإنسان فقد جعل الله ملكته العقلية تقف خلف ملكته اللغوية، فاللغة عنده أصوات مركبة ذات مقاطع تتألف منها الكلمات التي تتكون منها الجمل والعبارات، كل ذلك محكوم بقوى العقل البشري.

أولاً: نشأة اللغة

لطبيعة العقل البشري الباحث دومًا عن الحقائق، بدأ الإنسان التفكير في اللغة، ومتى بدأت؟ وكيف نشأت؟ وهل هي وحي من عند الله تعالى أم هي اصطلاح واتفاق بين الناس؟ وما هي اللغة الأولى التي تكلم بها آدم عليه السلام؟ وكيف تفرقت اللغة الأولى إلى لغات متعددة كما نراها اليوم؟ ولأن الإجابة

الدقيقة عن هذه الأسئلة تحتاج ما يدعمها من شواهد وأدلة علمية قاطعة، وهو المفتقد بالنسبة لهذه الأسئلة، فقد تعددت الإجابات بتعدد الأجناس والشعوب، والمعتقدات، إلا أن علم اللغة الحديث يقرر تنحية البحث في هذا الموضوع جانبًا؛ لأن العلم لا يبحث ولا يعترف إلا بما تؤكده المادة المحسوسة، وهذا الموضوع يفتقد هذه المادة المحسوسة، وليس لدى المتكلمين في هذا الموضوع ما يؤكد ما يذهبون إليه من آراء، لذلك فإن ما قيل من إجابات عن هذه الأسئلة، ما هو إلا محض اجتهادات لا يخرج عن حيز الافتراض والتخمين، لذلك قررت الجمعية اللغوية في باريس عام 1878م منع الكتابة البحثية في مثل هذه الموضوعات.[1]

وموضوع البحث في نشأة اللغة موضوع قديم، وبالرجوع إلى كتب التراث العربي نجد أن العلماء قد انقسموا في الحديث عن نشأة اللغة إلى فريقين:

الأول: ويمثله ابن فارس الذي يرى أن اللغة توقيفية من عند الله تعالى، ويستدل بقوله تعالى: ﴿ ﴾ (البقرة: 31)، ويؤكد ذلك ببعض أقوال السلف في تفسير الآية، كقول ابن عباس الذي يرى أن الله علم آدم-عليه السلام- الأسماء كلها المتعارف عليها بين الناس، من دابة وأرض وسهل وجبل، وغير ذلك من الأسماء. وكقول خُصَيف عن مجاهد: أنه علمه اسم كل شيء، وغيره ممن قالوا، علمه أسماء الملائكة، وأسماء ذريته. ويذكر الآراء المعارضة لرأيه ويفندها واحدًا واحدًا، إلى أن يقول: **"والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحًا، لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم، ولا فرق "**[2]

كما يرى أن هذه اللغة التوقيفية لم تأت دفعة واحدة، ولا في زمان واحد، وإنما علم الله آدم ما شاء من اللغة التي كان يحتاجها في وقته وزمانه، ثم علم بعده عرب الأنبياء-صلوات الله عليهم- ما شاء أن يعلمه حتى وصل الأمر إلى النبي-ﷺ- فعلمه ما لم يعلم أحدًا قبله، وبه ختم الله تعليم اللغة. ويختم نقاشه بقوله: **" وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قومًا من العرب في زمان يقارب زمانه أجمعو على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم. وقد كان من الصحابة-رضي الله تعالى عنهم-وهم الفصحاء والبلغاء النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به، وما علمنهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم."**[3]

ونلاحظ من خلال كلام ابن فارس أنه يعتقد بأن اللغة التي أوحاها الله لآدام-عليه السلام- هي اللغة العربية، وبذلك يرى أنها أصل اللغات.

---

[1] - انظر: فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1972م، ص77

[2] - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس (ت:395هـ)، علق عليه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1997م، ص14

[3] - الصاحبي، ص14

الثاني: يمثله المعتزلة، ومنهم ابن جني، الذي بدا مترددًا في نقاشه لهذه المسألة فيرى مرة أن اللغة تواضع واصطلاح، ويذكر أن أكثر أهل النظر من العلماء يقولون بأن اللغة تواضع واصطلاح، مخالفًا في ذلك أستاذه أبا علي الفارسي الذي كان يرى أن اللغة وحي من الله تعالى مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ (البقرة: 31)، ويرى ابن جني أن الآية تحتمل التأويل، فقد يكون معناها أن الله أقدر آدم -عليه السلام- على أن واضع على اللغة، فيقرر ابن جني أن الدليل إذا دخله الاحتمال بطل به الاستدلال، كما يذكر أن أستاذه أبا علي الفارسي، رغم قوله بالتوقيف في بعض كلامه، إلا أنه لم يمنع من قال بتواضع اللغة.

كما يذكر أن الآية قد فُسِّرت بأن الله علم آدم أسماء جميع المخلزقات بكل اللغات العربية والفارسية والعبرية والسريانية والرومية، وغيرها من اللغات، وكان آدم –عليه السلام- وولده يتكلمون بها، ولما تفرقوا في الأرض تمسك كل واحد منهم بلغة وترك بقية اللغات.

كما يشير إلى أن الله ذكر في الآية تعليم الأسماء لآدم –عليه السلام- دون الأفغال والحروف؛ سببه أن الأسماء أقوى من الأفعال والحروف، وأصل في الكلام، لذلك يجوز أن يكتفى بها مما هو تال لها.[4]

ثم يعرض ابن جني لوجهة نظر القائلين بتواضع اللغة، وأن هذا التواضع بالنسبة للغة أمر حتمي، ويذكر قولهم في بدء التواضع اللغوي: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فيتفقوا فيما بينهم على تسمية بعض الأشياء بأسماء يتعارفون عليها، ويضعون لكل شيء سمةً ولفظًا بحيث إذا ذُكِرَ الاسم ربط السامع بينه وبين هذا الشيء أو المسمى، فيمتاز عن غيره من الأشياء ويغني ذلك عن إحضاره إلى السامع ليراه، ومثال ذلك كأن يأتوا بواحد من بني آدام ويشيرون إليه، ويقولون: إنسان إنسان إنسان، فعندما يسمع هذا اللفظ، يعلم السامع أن المقصود به هذا النوع من المخلوقات، وهكذا في بقية الأشياء من الأفعال والحروف. وعلى ذلك تنقل هذا المواضعة والاتفاق فيما بين الناس إلى غيرها من اللغات، فـ(إنسان) في العربية يقابلها (مَرْد) في الفارسية، وعلى هذا بقية الكلام في جميع اللغات. وبهذا يظهر تفسير ابن جني لأصل اللغة العربية ونشأتها وتطورها، الذي يتفق مع جميع اللغات.

كما قالوا[5] إن هذه المواضعة والاتفاق على اللغة لابد أن تكون في بدايتها عن طريق المشاهدة والإيماء، والله سبحانه محال عليه أن يواضع أحدًا من خلقه بطريق المشاهدة والإيماء، وعلى ذلك بَطُلَ عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه سبحانه وتعالى، ولكنهم قالوا: يجوز أن ينقل الله اللغة التي قد وقع التواضع بين عباده عليها، بأن يقول: الذي كنتم تعبّرون عنه بكذا عبّروا عنه بكذا.

ويذكر أنه سأل بعض القائلين بتواضع اللغة، **ما تنكر في أن تصح المواضعة من الله تعالى؟ وإن لم يكن ذا جارحة**. بأن يحدث في جسم من الأجسام إقبالاً على شخص من الأشخاص، وتحريكًا لها نحوه،

---

[4] - الخصائص، لابن جني (ت: 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ت 1/40-42

[5] - يقصد المعتزلة

ويُسْمِعَ في نفس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتًا يضعه اسمًا له. باختصار أن يجعل الله للأشياء قدرة على التعريف بنفسها للإنسان.

وفي نهاية نقاش ابن جني لهذه المسألة، يظهر أنه اتخذا موقفًا وسطًا- فقال بالتوقيف والتواضع معًا.[6] ويعبر عن تردده قائلاً: "فأقف بين تين الخَلَّتين حسيرًا، وأكاثرهما فأنكفئ مكثورًا, وإن خطر فيما بعد، يعلِّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبتها، قلنا به"[7] كما يصرح بذلك في موضع آخر من الكتاب فيقول: "تقدم في أول الكتاب القول على اللغة: أتواضع هي أم إلهام؟ وحكينا وجوزنا الأمرين جميعًا"[8]

وعلى الرغم من أن ابن جني قد صرح بتبنيه للرأيين إلا أن الدكتور الراجحي يستبعد اقتناع ابن جني بأن اللغة توقيفية من عند الله تعالى، ويستند في ذلك على توجه ابن جني الفكري، فكيف له وهو المعتزلي الذي يقول بخلق القرآن، أن يقول بأن اللغة وحي من عند الله؛ لأن ذلك لا يتسق مع قدرة الإنسان التي يؤمن بها المعتزلة. وإلى جانب ذلك أن منهج ابن جني في تناول اللغة في كتبه باعتبارها مادة طبيعية محسوسة مقياسها الطبيعة والحس.[9]

كما يذكر ابن جني بعض الآراء الأخرى في مسألة نشأة اللغة، وهو مذهب المحاكاة وهو الرأي القائل بأن أصل اللغة إنما جاء من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وقد قال بهذا الرأي الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، يقول ابن جني في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني: " قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجُنْدُب[10] استطالة ومدًّا فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازيّ[11] تقطيعًا فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو النقزان[12]، والغليان، والغثيان, فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال[13]

ويرى ابن جني أن هذا الرأي من الآراء المقبولة لديه، فيقول: "وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[14]

---

6 - انظر: الخصائص 1/ 44- 47
7 - الخصائص 47/1
8 - الخصائص 28/2
9 - انظر: فقه اللغة في الكتب العربية ص84
10 - نوع من الجراد يصرُّ ويقفز ويطير
11 - نوع من أنواع الصقور
12 - نوع من القفز، ومنه نقزان القرد
13 - الخصائص 152/2
14 - الخصائص 47/1

ويناقش السيوطي مسألة نشأة اللغة بشيء من التفصيل فيذكر الآراء السابقة، ثم يذكر ما قاله بعض علماء أصول الفقه في سياق حديثهم عن نشأة اللغة، منهم الفخر الرازي، وتاج الدين الأرموي، وسراج الدين الأرموي وملخصه أن :" الألفاظ إما أن تدل على المعاني بذواتها، أو بوضع الله إياها، أو بوضع الناس، أو يكون البعض بوضع الله والباقي بوضع الناس؛ والأول: مذهب عباد بن سليمان[15]، والثاني مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وابن فُوْرَك، والثالث مذهب أبي هاشم، أما الرابع فإما أن يكون الابتداء من الناس والتتمة من الله، وهو مذهب قوم. أو الابتداء من الله والتتمة من الناس، وهو مذهب الأستاذ أبي اسحق الإسفرايني، والمحققون متوقفون في الكل، إلا مذهب عباد. ودليل فساده أن اللفظ لو دل بالذات لَفَهِم كل واحد منهم كل اللغات، لعدم اختلاف الدلالات الذاتية، واللازم باطل، فاللزوم كذلك. واحتج عباد بأنه لولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من بين الألفاظ بإزاء معنى من بين المعاني ترجيحًا بلا مرجِّح، وهذا محال. "[16]

ثم يذكر السيوطي حجج كل من القائلين بالتوقيف والاصطلاح.

أولاً: حجج القائلين بالتوقيف:

- - قول الله تعالى: ﴿ ﴾ (البقرة: 31)، عندهم دليل على أن الأسماء مُعَلَّمَةٌ بالنص من الله تعالى، كذلك الأفعال والحروف؛ لأن الأفعال والحروف أيضًا أسماء، وتقسيم الكلم إلى أسماء وأفعال وحروف من تصرف النحاة لا اللغة.

- - أن الله ذم قومًا في قرآنه الكريم لاتخاذهم أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ﴾ (النجم: 23)، مما يدل على أن باقي الأسماء توقيفية.

- - قوله تعالى: ﴿ ﴾ (الروم: 22)، يدل على أن المقصود بالألسنة في الآية هو اللغات، وليست الألسنة اللحمية لعدم اختلافها.

---

15 - عباد بن سليمان الصيمري، وهو من كبار المعتزلة، وكان يزعم أن بين الألفاظ والمعاني مناسبة طبيعية.

1616 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي (ت: 911هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر، ط3، د.ت، 16/1

- أن الاصطلاح يحتاج بالضرورة إلى توقيف، بمعنى أنه حتى يتفق الناس على لغة لابد لهم من لغة يتحدثون بها، حتى ينتهي الأمر إلى التوقيف.

ثانيًا: حجج القائلين بالاصطلاح:

- لو كانت اللغة توقيفية فإن الأمر يحتاج إلى واسطة بين الله والبشر لإيصال اللغة لهم، لاستحالة مخاطبة الله تعالى للبشر مباشرة من غير رسول، وعلى ذلك فإن الرسول المبلغ للقوم لابد أن يكلمهم بلغتهم، لقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (إبراهيم: 4)، وذلك يقتضي بالضرورة وجود اللغة وتقدمها على البعثة.

- لو كانت اللغة توقيفية، فذلك الأمر يقتضي أمورًا ثلاثة:

- إما أن يخلق الله تعالى علمًا ضروريًا في الإنسان، فيعلم به وضع الألفاظ لمسمياتها، وذلك باطل، لأنه لو كان الإنسان عالمًا بالضرورة بكون الله وضع كذا لكذا، لكان علمه بالله ضروريًا، ولو كان كذلك لبطل التكليف.

- أن يخلق الله تعالى علمًا ضروريًا في غير العاقل، وذلك باطل لأن غير العاقل لا يمكنه إنهاء تمام هذه الألفاظ.

- أن لا يخلق الله علمًا ضروريًا أصلاً، وهذا أيضًا باطل؛ لأن العلم بها إذا لم يكن ضروريًا احتاج الأمر إلى توقيف آخر، ولزم التسلسل.

وهكذا ظل الفريقان، يفند كل منهما ما ذهب إليه الآخر من حجج، والحديث في هذه المسألة طويل.[17]

ثانيًا: ماهية اللغة

تعرض كثير من علماء اللغة لتعريف لتعريفها، ومن هذه التعريفات:

1- **ابن جني**: "إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [18]

2- **ابن خلدون**: "هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام. فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان."[19]

---

17 - انظر: المزهر 17/1 وما بعدها

18- الخصائص 33/1

19 - مقدمة ابن خلدون، لولي الدين بن خلدون (ت:808هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، 2004م، 2/ 367

3- **ابن حزم الأندلسي**: "ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها، ولكل أمة لغتهم"[20] ويعرف اللغة في سياق تعريفه للصوت الدال فيقول: " أما الصوت الذي يدل بالقصد فهو الكلام الذي يتخاطب الناس به فيما بينهم، ويتراسلون بالخطوط المعبرة عنه في كتبهم، لإيصال ما استقر في نفوسهم من عند بعضهم إلى بعض، وهذه هي التي عبر عنها الفيلسوف بأن سماها (الأصوات المنطقية الدالة)"[21]

4- **فردينان دي سوسير**: " اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة"[22]

5- **إدوارد سابير**: " اللغة وظيفة إنسانية خالصة وغير غريزية، لتوصيل الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي يتم انتاجها طواعية. هذه الرموز في المقام الأول، سمعية ويتم إنتاجها من قبل ما يسمى (أجهزة الكلام)."[23]

6- **تشومسكي**:"سأعتبر منذ الآن اللغة مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل، كل جملة فيها محدودة في طولها، قد أنشئت من مجموعة محدودة من العناصر. فجميع اللغات الطبيعية في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم."[24]

7- **دكتور إبراهيم أنيس**: "اللغة نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض"[25]

من خلال التعريفات السابقة للغة يمكن أن نستخلص بعض خصائص اللغة، من هذه الخصائص أنها:

1- **صوتية:** لأن اللبنة الأولى من لبنات اللغة هو الصوت اللغوي الذي ينتجه الإنسان.

2- **منظمة:** لأنها تتكون من أصوات تكون الكلمات، والكلمات بدورها تؤلف الجمل والعبارات، بشكل منظم مبني على قواعد محددة.

3- **تعبيرية:** من أهم خصائص اللغة، أنها تعبر عما يدور في خلجات الإنسان من أفكار ومشاعر وأحاسيس.

---

20 - الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي (ت:456هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.ت، 46/1

21 - التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، لابن حزم الأندلسي (ت:456هـ)، تحقيق: عبد الحق بن ملاحقي التركماني، دار ابن حزم، ط1، 2007م، ص 327

22 - علم اللغة العام، لفردينان دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، 1985م، ص27

23 - Sapir. E (1921): language. An introduction to the study of speech. New York, Harcourt, Brace and company, P7

24 - البنى النحوية، لناعوم تشومسكي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مرجعة: مجيد الماشطة، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد-العراق، 1987م، ص17

25 - اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس، دار المعارف، مصر، 1970، ص11

4- **عرفية:** بمعنى أنها اصطلاحية يتعارف عليها أفراد مجتمع معين، فالألفاظ وعلاقتها بالمعاني علاقة اعتباطية، ولا يوجد علاقة طبيعية بين هذه الألفاظ ومعانيها.

5- **اجتماعية:** أي تنشأ في اجتماع الإنسان بغيره، حتى المونولوج الداخلي، أو حديث النفس، يقيم الإنسان من ذاته ذاتًا آخر يكلمها، كما أن لغة الإنسان تتأثر بالعوامل المجتمعية.

فقه اللغة وعلم اللغة في الفكر اللغوي القديم

المصطلحات مفاتيح العلوم وثمارها القصوى كما يقول الدكتور عبد السلام المسدِّي، ومن أخطر التحديات التي تواجه الدارس العربي، هو الخلط بين المصطلحات، فقد حدث خلط كبير بين مصطلحي فقه اللغة وعلم اللغة بين الدارسين العرب، خصوصًا بعد ظهور علم اللغة الحديث، أو علم اللسانيات الحديث، وللتفرقة بين المصطلحين نحاول أن نعرف كل مصطلح على حدة حتى يتضح الأمر:

فقه اللغة: كلمة فقه لغة تعني (علم)، أو (فهم) أو (فطنة)، يقول ابن منظور:" الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم"[26]

وفي الاصطلاح عرفه الجرجاني بقوله : "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهًا، لأنه لا يخفى عليه شيء." [27]

وقد استخدم علماء العربية القدماء كلمة (فقه) في دراساتهم اللغوية:

وابن فارس هو أول من استخدم هذا المصطلح في كتابه **(الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها)**، والمطلع على كتاب ابن فارس يجد أنه حدد في بداية كتابه المقصود بكلمة فقه فقال: "إن لعلم العرب أصلاً وفرعًا: أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات، كقولنا: "رجل" و"فرس" و"طويل" و"قصير" وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلم. وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب، في مخاطبتها، وما لها من الافتنان تحقيقًا ومجازًا"[28]

ومن قول ابن فارس يبدو أن اهتمامه كان منصبًا على القسم الثاني، وهو ما يعني به (فقه اللغة)، لذلك فقد تحدث في كتابه عن نشأة اللغة وحياتها، وعن الخط العربي، وقسَّم اللغة العربية إلى شمالية وجنوبية، وتحدث عن لغات العرب المحمودة والمذمومة، كما تكلم عن اللغة العربية والقرآن الكريم، وعن التطور الذي طرأ عليها بعد نزول القرآن، ثم تحدث عن خصائص اللغة العربية، ومستوياتها

26 - لسان العرب، لابن منظور(ت:711هـ)، دار المعارف، القاهرة-مصر، مادة [ف.ق.هـ] ص3450
27- التعريفات للشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصالحين، بيروت 1985م، ص 175
28 - الصاحبي ص11

بداية من الأصوات مرورًا بالصرف والنحو وصولاً إلى الدلالة، وخلال ذلك ربط ابن فارس دراسة (فقه اللغة) بفهم القرآن الكريم.

وأبو منصور الثعالبي أيضًا استخدم مصطلح (فقه) في كتابه: (فقه اللغة وسر العربية)، وقد قسم الثعالبي كتابه على قسمين: الأول: فقه اللغة، وجعلها معجمًا من المعاجم اللغوية رتب فيها المادة ترتيبًا معنويًا، لا على ترتيب حروف الهجاء. والثاني: جعله للحديث عن مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها. كالتقديم والتأخير، والتذكير والتأنيث، والإبدال والقلب، والإتباع، والطباق، والاستعارة والجناس، وغير ذلك الكثير.[29]

وقد استخدم أيضًا علماء العربية القدماء مصطلح (علم اللغة)، ومن ذلك استخدام أبو حيان الأندلسي لهذا المصطلح في سياق حديثه عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها المفسر، فيذكر منها (علم اللغة) فيقول: "الوجه الأول: علم اللغة اسمًا وفعلاً وحرفًا"[30]، واستخدمه ابن خلدون في حديثه عن علوم اللسان العربي، والتي ذكر من ضمنها (علم اللغة) فقال: "علم اللغة: هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية"[31]، كما استخدم السيوطي أيضًا هذا المصطلح في عنوان كتابه: (المزهر في علوم اللغة وأنواعها)، وغيرهم من العلماء، وقد استخدم هؤلاء العلماء المصطلح للإشارة إلى دراسة بعض المباحث اللغوية مثل: **البحث في نشأة اللغة، جمع الألفاظ وتدوينها وروايتها، والبحث في دلالتها واشتقاقها، ودراسة بعض الجوانب الصوتية والصرفية، وإنشاء المعاجم اللغوية. كل ذلك للحفاظ على اللغة وقوانينها، خصوصًا بعد أن اختلط العرب بغيرهم من العجم.**

ومما سبق يظهر لنا أن علماءنا القدماء استخدموا كلمة (فقه) بمعنى (علم) أو (فهم).

المصادر المراجع

1- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي (ت:456هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.ت.
2- البنى النحوية، لناعوم تشومسكي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مرجعة: مجيد الماشطة، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد-العراق، 1987م.
3- التعريفات للشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصالحين، بيروت 1985م.

[29] - انظر: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، د. صلاح الدين صالح حسانين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض- السعودية، 1984م، ص 15-21

[30] - تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي(ت:745هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1، 1993م، 105/1

[31] - مقدمة ابن خلدون 370/2

4- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي(ت:745هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1، 1993م.
5- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، لابن حزم الأندلسي (ت:456هـ)، تحقيق: عبد الحق بن ملاحقي التركماني، دار ابن حزم، ط1، 2007م.
6- الخصائص، لابن جني (ت: 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية. د.ت.
7- دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، د. صلاح الدين صالح حسانين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض- السعودية، 1984م.
8- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس (ت:395هـ)، علق عليه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1997م.
9- علم اللغة العام، لفرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، 1985م.
10- فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1972م.
11- لسان العرب، لابن منظور(ت:711هـ)، دار المعارف، القاهرة-مصر.
12- اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس، دار المعارف، مصر، 1970.
13- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي (ت: 911هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر، ط3، د.ت.
14- مقدمة ابن خلدون، لولي الدين بن خلدون (ت:808هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، 2004م.

المراجع الأجنبية

1- Sapir. E (1921): language. An introduction to the study of speech. New York, Harcourt, Brace and company